

دلالة السياق اللساني لدى عبد الملك مرتاض

د. مختار درقاوي

قسم اللغة والأدب العربي جامعة حسية بن بوعلي
الشلف الجزائر

الملخص باللغة العربية:

يتطلع هذا البحث إلى مكاشفة دلالة السياق اللساني لدى ناقد ولغوي عربي معاصر، يتعلق الأمر بالباحث الجزائري عبد الملك مرتاض، الذي مافتئ من خلال أعماله البحثية ينوّه بالبعد الاستعمالي للغة مبرزاً السمات الدلالية للإجراءات المترتبة عن عملية التلفظ سواء في المستوى الصوتي أم النحوي أم الصريفي أم التداولي. ويبيّن البحث أنّ عبد الملك مرتاض يمتلك حساً نقدياً لغوياً رفيعاً يضاهي بل يزيد عن مسحة النقد الأبوي لديه.

الملخص باللغة الفرنسية:

Cette recherche vise à détecter le contexte signification linguistique à la critique et ma langue arabe contemporaine, il se agit chercheur algérienne Abd AlMalik Mortad, qui a noté aspect sommelier de la langue, en soulignant les caractéristiques des actions sémantiques résultant du processus de la parole à la fois dans le niveau phonologique ou structurelle et morphologique ou pragmatique.

- كلمات مفتاحية: السياق اللساني - الدلالة - النحو - الصرف.

- Mots-clés: contexte linguistique - Sémantique - Syntaxe - Morphologie.

تمهيد:

الصائب فيها. ومن بين تلك الظواهر إلحاق التاء بالأبنية. ساد بين النحاة العرب أنّ "التاء" في صيغ المبالغة، كالتي في بناء فعّالة نحو: علّامة، وفهّامة، وتلعّابة، وتمزّاحة وغيرها ليست للتأنيث، ولكنها للمبالغة، جاء في المصباح المنير: "وتاء حنيئة للمبالغة لا للتأنيث كتاء خليفة وعلّامة" وجاء أيضا: "الخليفة أصله "خليف" بغير هاء لأنّه بمعنى الفاعل والهاء مبالغة مثل علّامة ونسّابة"¹.

ولم يلق هذا الرأي قبولا لدى عبد الملك لاعتبار مهم: أنّ هذا البناء -أي فعّالة- يجتمع فيه مبالغتان اشتتان: الأولى: أنّ هذا البناء هو على وزن فعّال الذي لم يكُ في العربية إلا للمبالغة أصلا، فإذا أضفنا إليه هاء المبالغة -المزعومة- كنّا أوقرنا هذا البناء بما لا يُطيق، وكُنّا كمن أنث لفظا واحدا بعلامتي تأنيث، فقال مثلا: صَحَارَة (بالاستعانة بالألف والهاء معا)، أو سُمْرَاءَة (باستعمال الهمز والهاء جميعا). فكأنّ النحاة العرب لم يستطيعوا البرهنة على

السياق بوصفه مبدءا مهما للتأويل والفهم والتحليل اللغوي اهتّم به علماؤنا العرب قديما وحديثا وأشادوا بدوره وفاعليته، ومن أولئك نذكر اللغوي والبلاغي والناقد العربي الكبير عبد الملك مرتاض، فقد ركّز في كتاباته وقراءته النقدية واللغوية والتحليلية للنصوص على أن يكون السياق حاضرا لتجنّب أي انزياح دلالي وأي تأويل منحرف، فاستمسكه به دليل على حرصه الشديد للوصول إلى المعنى المراد من الكلام وهذا الذي تقرر مشار إليه في ميراث الحضارة إذ أثبت علماء اللغة والنص أنّ الدلالة في كلّ موضع إنّما تتحقّق بحسب السياق. وتتجلى مظاهر الدلالة السياقية عند عبد الملك مرتاض في الآتي:

• بلاغة الهاء ودلالاتها السياقية:

نهض عبد الملك مرتاض من بين ما نهض عليه في مؤلفاته أنّه لا يقنع ببعض التفسيرات الدلالية التي قدمها اللغويون العرب القدامى لعدد من الظواهر اللغوية، فتجده باسطا المسألة مسترسلا في ذكر مواضع قصورها، مستدركا بتوجيه الرأي

¹ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعرف، ط2، القاهرة، ص178.

تحديد الوظيفة السياقية لهذه التاء التي هي "للتفخيم، لا المبالغة وكفى؛ لأنّ معنى المبالغة يوجد أصلاً في معظم الأبنية التي تلحقها هذه الهاء"². فاستدرك بذلك على الخليل الذي كان يرى أنّ هذه الهاء هي هاء المبالغة والتفخيم³، وقصّرَها عبد الملك على التفخيم لأنّ المبالغة دلّ عليها أصل البناء.

ولا ينسحب هذا الرأي الدلالي الحصيف على بناء فعّالة فحسب ولكن على أبنية أخرى لتُكثّف الدلالة وتكثر، فتصير دلالة المبالغة مضاعفة كما في قولهم: "ابغني ناقة حُلبانة ركبانة"؛ أي: غزيرة الحليب حين تُحلب، ودُلُولاً حين تُركب. وفي أبنية مصادر الفعل الثلاثي أحصى عبد الملك زهاء ثلاثة عشر بناء مؤنثاً، كما في "فَعْلَة" مثل: رحمة وزحمة، و"فَعْلَة" مثل: نَشْدَة (من نشد الضالة: طلبها)، و"فَعْلَة" مثل: كُدْرَة وشُقْرَة، و"فَعْلَى" مثل: دَعْوَى وشَكْوَى و"فَعْلَى" مثل: ذِكْرَى، و"فَعْلَى" مثل: بُشْرَى، و"فَعْلَة" مثل: غلبة، و"فَعْلَة" مثل: سَرْقَة، و"فَعَالَة" مثل: زَهَادَة، و"فَعَالَة"

مثل: دراية، و"فَعُولَة" مثل: صُهوْبَة، و"مَفْعَلَة" مثل: مَسْعَاة، و"مَفْعَلَة" مثل: مَحْمُودَة وهذه الهاء ألحقت بأبنية هذه المصادر لتفخيمها وتزيينها⁴. وعليه فإنّ الهاء في سياق البيان العربي هي في الأصل للدلالة على المرأة في العربية تتميز بها، فتكون لها زينة تتباهى بها على الرجل؛ لأنّها بها يزداد اللفظ اتساعاً في عدد حروفه وانتشاراً في حيّز الصوت بالكلام⁵.

• الدلالة السياقية الصغرى والكبرى للمصادر:

ميّز عبد الملك مرتاض في سياق حديثه عن الدلالة الصرفية بين الدلالة الصغرى والدلالة الكبرى ويقصد بالأولى أي الدلالة الصغرى أن يحمل المصدر أبسط معنى وأقلّه في التركيب الثلاثي للفعل خصوصاً، مثل: كَتَبَ كَتَبًا، وضرب ضرباً، ونصر نصرًا، فتركيب المصدر "فَعْل" مساو للفعل في عدد الحروف⁶. على حين أنّ الدلالة الكبرى هي الناشئة عن تعدّد المصادر على غير هيئة المصدر الأصلي، أو الأوّل المُشاكل لتركيب فعله، فيقال من فعل: "كَتَبَ - مثلاً - كِتَابَة فيفتدي المصدر حاملاً لدلالة جديدة أقوى وأكثف، وليس مجرد

² عبد الملك مرتاض، نظرية اللغة العربية تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، دار البصائر، ط2، 2012، الجزائر، ص19 - 20 - 21.
³ المصدر نفسه، ص22.
⁴ المصدر نفسه، ص63 - 64.
⁵ المصدر نفسه، ص19.
⁶ المصدر نفسه، ص80.

توكيد لمعنى فعله، فالكتابة مثال دال على الاحترافية، مثل التجارة والنجارة، على حين المكاتب موجبة وجود كاتبين اثنين أو أكثر يتبادلان الكتابة، وتتميز الدلالة الكبرى بكونها لا تندسّ في مصادر الثلاثي المركزية التي تجسّد الدلالة الصغرى، بل تلتبس سيرتها في المصادر التي يكون بناؤها أكبر من بناء أفعالها الثلاثية؛ فتأتي بعد المصادر المستعملة للدلالة الصغرى، فتشطّ في إخصاب دلالتها وتكثيها وتكثيفها على الدلالة الأولى الصغرى⁷.

• السياق التاريخي:

السياق التاريخي للألفاظ خاصية مهمة للغة، تتمّ عن التطور المستمر الحاصل فيها، وذلك حين يلاحظ المتكلم أنّ الكلمة لم تعد كما كانت في السابق، بفعل رقي في معناها، أو انحطاط، أو توسع، أو انحسار، أو مجاز، أو مبالغة، أو نحو ذلك. وهو مصطلح ومحور رئيس من محاور علم الدلالة الحديث وبخاصة علم الدلالة التاريخي **sémasiologie**. الذي يرصد حركة الدلالة في دورانها، مع ألفاظ اللغة بمرور الزمن، وتعد هذه المظاهر أهم مقوم من المقومات التي يقوم على عاتقها

⁷ المصدر نفسه، ص 83.

صناعة المعجم التاريخي بصفة خاصة، والمعاجم الأخرى بصفة عامة⁸.

وبنظرة عجل في ظاهرة السياق التاريخي أو التطور الدلالي للألفاظ لدى عبد الملك تبيّن أنّ له موقفاً من أهل اللغة المتشدّدين الذين منعوا الكثير من الاستعمالات بدعوى عدم ورودها في المعجمات دون وعي منهم بأنّ المعجمات العربية كلّها ابتداء من العين للخليل حتى تاج العروس للزبيدي (ت 1205هـ) "ليست بالمراجع الوافية التي حصرت المادة اللغوية ولم يند عنها شيء، فما أكثر ما تركت وما أكثر ما غاب عن جامعها رغم دأبهم وكدهم وبذلهم من الجهد الشيء الكثير"⁹، ومن هنا تقرر أن دعوة الاحتكام إلى المعجمات فيما يصح استعماله وما لا يصح لا تصح دائماً، بل إنّ المعجمات كما أكد إبراهيم السامرائي "على خطرهما لا يمكن أن تكون وحدها

⁸ فريض عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، 2005، القاهرة، ص 71.

⁹ أحمد مختار عمر، العربية الصحيحة، عالم الكتب، ط2، سنة 1998، ص 179.

مما يعول عليه في هذا الأمر"¹⁰، والسبب أن "المعجم القديم على غناه وشموله للعربية القديمة وقدر كبير من العربية الإسلامية فإننا لنجد أنه افتقر إلى أشياء كثيرة مما جدّ في "العربية العباسية"¹¹، وهو يريد بالعربية العباسية الألفاظ العربية التي وردت في نثر الكتّاب الكبار الذين عاشوا في عصور هذه الدولة.

وذهب عبد الملك إلى أبعد من ذلك "أنّ معاجمنا العربية في واد وتطور اللغة العربية في وادر آخر، فالعربية المعاصرة، وعربية العلماء، تتطور بعيدا عن هذه المعاجم التي اجتزأت بكلام الأعراب، وتحرّجت في إدخال ألفاظ ذات المعاني الجديدة. وكان ذلك أحد أكبر الأسباب في تجميد اللغة العربية لجعلها لغة متحفية، وهذا شأن مرفوض"¹². ومن استدراكات عبد الملك على غيره من اللغويين لفظة "قابلية" ويعتبر بمعنى يعدّ، أما الاستدراك الأوّل زعم بعض اللغويين أنّه لا يقال: قابلية للشيء إذا كان متقبلاً للوقوع، وتبيّن بعد بحث في

كتب التراث أنّه قول صحيح تكرر في استعمالات العلماء قريبا من مائتين وخمسين مرّة انطلاقا من معارج القدس لأبي حامد الغزالي، إلى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير. والاستدراك الثاني: نعى بعض اللغويين على من يصطنع "اعتبر" الشيء: بمعنى عدّه في نفسه وأسس عليه حكما، أو اعتدّ به في نظره. وهم يرون أنّه لا يقال في العربية الصحيحة: "اعتبر الشيء"، فغير عبد الملك مرتاض برهة يلتمس فيها وجها يؤذّن بصكّ هذا المعنى في ذلكم المبنى إلى أن عثر على بيتين من الشعر يُنسبان للفيروزابادي وجدا بهامش نسخة من القاموس بخطّه، يتحدّث فيهما عن مفناح استعمال معجم القاموس وهو أحد أكبر أئمة اللغة العربية، والبيتان هما:

إذا رُمّت في القاموس كشفاً للفظه

فأخروها للباب والبَدْءُ للفصل

ولا تعتبر في بدئها وأخيرها

مزيدا ولكن اعتبارك بالأصل

ففي هذين البيتين شاهدان اثنان على صحّة الاعتبار جاءا من الفعل والمصدر معا. وقد عرّف "الاعتبار" الذي دخل في العربية

¹⁰ إبراهيم السامرائي، معجم ودراسة في العربية المعاصرة، مكتبة لبنان، ط2000، بيروت ص67.

¹¹ المرجع نفسه، ص126.

¹² عبد الملك مرتاض، نظرية اللغة العربية تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، ص291.

متأخراً فيما يبدو على أنه: "الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى غيره. وقال أبو البقاء: هو التدبّر وقياس ما غاب على ما ظهر، ويكون بمعنى: (...) الاتّعاظ نحو: [فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ]¹³ وبمعنى الاعتداد بالشيء في ترتيب الحكم نحو قول الفقهاء: الاعتبارُ بالعقب؛ أي: الاعتداد في التقدّم به". واستعمل لفظ الاعتبار ابن الأثير، والخطابي، وابن الجوزي، وغيرهم من أكابر العلماء المسلمين، أفلا يكون هؤلاء ثقات نأخذ عنهم، ونستشهد بكلامهم؟ وإن كان بعضهم إنّما استعمله في معنى الاتّعاظ¹⁴.

• دلالة السياق العاطفي:

السياق العاطفي هو السياق الذي يسعى إلى الكشف عن المعنى الوجداني، الذي قد يختلف من شخص إلى آخر، فهو سياق يحاكي المشاعر والانفعالات المخبوءة في ذات الإنسان، والتي تحملها معاني الألفاظ، يقول ستيفن أولمان: "السياق وحده هو الذي يوضّح لنا ما إذا كانت الكلمة

ينبغي أن تؤخذ على أنّها تعبير موضوعي صرف أو أنّها قصد بها أساسا التعبير عن العواطف والانفعالات وإلى إشارة هذه العواطف والانفعالات. ويتضح هذا بخاصة في مجموعة معيّنة من الكلمات، نحو: حرية وعدل التي قد تشحن في كثير من الأحيان بمضامين عاطفية بل إنّ بعض الكلمات المستعملة في الحياة اليومية العادية قد تكسب نغمة عاطفية قوية، وغير متوقعة في المواقف الانفعالية"¹⁵. والسياق العاطفي مرتبط بالنفس ارتباطاً وثيقاً، وهذا الارتباط يختلف من شخص إلى آخر، وكل كلمة تذكر يكون صداها لدى المتلقي تابعا لحالته النفسية، ومثاله في حقل الأدب ما جاء ذكره في الأغاني أنّ يزيد بن أسلم روى عن أبيه أنّ الحطيئة حين أخرجه الخليفة عمر رضي الله عنه من السجن أنشد:¹⁶

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ

زغب الحواصل لا ماء ولا شجر؟

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة

فاغفر عليك سلام الله يا عمر

¹³ الحشر: 2.

¹⁴ ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية اللغة العربية، صص: 289- 290- 291. وينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 171/5. وينظر الخطابي، غريب الحديث، ص343. وينظر ابن الجوزي، غريب الحديث، 463/2.

¹⁵ ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر:كمال بشر، مكتبة الشباب، ط1988، القاهرة ص62. ¹⁶ الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، (د.ت.ط)، 107/2.

لقد أراد الحطيئة أن يصوّر مشهدا يعكس فيه حال الأبناء الصغار وهم جياع في موقف السائل الراجي عفو الخليفة عن أبيهم، هنا تبدى أن المعنى المدرك من خلال السياق هو الاستعطاف، كما أن هناك معاني عاطفية محمّلة في الألفاظ تتفرّع عنه، كالجوع الذي لا يدفعه غير أبيهم، فهم زغب الحواصل ولا يطعم الطيور إلّا الآباء والأمهات، كما تعني الرعب والرغبة "في قعر مظلمة"، وتشمل كذلك طلب العفو "اغفر...يا عمر"، فهذه الألفاظ من حيث الدلالة الصوتية ومن حيث التركيب تنفرد بحمولة عاطفية يطلبها السياق؛ ليكون المعنى قادرا على التأثير على الخليفة العادل¹⁷. وعليه كانت دلالة الصورة النابعة من الوجدان إحدى الوسائل التي تضافرت مع الدلالة الصوتية ودلالة التركيب في تحقيق حيوية المعنى الذي يتطلبه السياق العاطفي، بحيث يصبح نمو الفكرة رهن ما يضيفه السياق إليها، ليغدو أخيرا نشاطا من نشاطات الفكرة أو إفرازا لها، وفي الوقت نفسه مشاكلا لها هو في المرحلة الأولى سياق عاطفي، وفي

الثانية سياق جمالي، والمراد بالسياق الجمالي ذلك الأثر الذي يحرك النفس نتيجة لانتقاء السياق لمفردات تعمّق الإحساس بالفكرة والانفعال بها، وقد كانت قبل قيام السياق بدوره غفلا من هذا الملمح الجمالي الذي قام بتحقيقه علاقة التأثير المتبادلة بين الشكل والمضمون¹⁸.

ويمكن أن نمثّل للسياق العاطفي في الحقل اللغوي المعجمي عند عبد الملك بـ"الرغبة" التي أبدع في بيان دلالتها السياقية، وذلك من خلال تقديم منحني تصاعدي بمراعاة الأخف فالأثقل من حيث الحمولة الدلالية، فالرغبة هي شحنة عاطفية عارضة تتكوّن في الوجدان أو في الغريزة لموقف طارئ، فإذا ازدادت هذه الرغبة في الوجدان قليلا، قيل: "الرَّغَب" بتثقيل الغين للزيادة في قوّة الدلالة، فإن أريد إلى أكثر من ذلك قيل: "رَغْبَى" (بفتح الراء). فإن أريد إلى دلالة أكثر، قيل: رُغْبَى (بضمّ الراء)، فإن أريد إلى أكثر من ذلك قيل: رَغْبَاء على وزن حساء. فإن أريد إلى الرغبة العارمة الكامنة في الغريزة قيل: رَغْبَوْتًا. فإن أريد إلى أشدّ من ذلك في

¹⁷ ينظر محمود محمد عيسى، السياق الأدبي - دراسة نقدية تطبيقية -، مكتبة نانسي دمياط ط4 2004 مصر، ص41.

¹⁸ المرجع نفسه، ص41.

• الدلالة السياقية الصوتية:

يصطلح ابن جني على تسمية الدلالة السياقية الصوتية بالدلالة اللفظية، وتعدّ أقوى الدلالات؛ ذلك لأن معرفتها تتوقف على الأصوات المكوّنة للكلمة، فـ "ضرب" مثلاً بوحداثتها الصوتية تدلّ على الضرب؛ أي إننا وقفنا على الحدث من خلال لفظ الفعل. وهكذا كل فعل بأصواته يؤدي معنى الحدث، "فالضرب والقتل نفس اللفظ يفيد الحدث فيهما"²²؛ بمعنى كل واحد منها يدل على حدث مغاير للآخر تبعاً لاختلاف لفظيهما؛ أي أصواتهما وكذلك "قطع وكسا، فنفس اللفظ هنا يفيد معنى الحدث...، كما أن ضارب يفيد بلفظه الحدث"²³.

وهذا الذي أشار إليه ابن جني يمكن الاصطلاح على تسميته بالدلالة الصوتية الكلية، وهي نوع من الدلالات التي تتحقق في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة؛ أي إنّ لحروف اللفظ دخلاً في إبراز الدلالة، ويشمل هذا الصنف من الدلالة الألفاظ المتداولة في اللغة، وهناك دلالة

الحرص على نيل الرغبة، قيل: رَغَبْتُ. فإن أريد إلى تراحم بنات هذه الرغبة في النفس واضطرابها وإلحاحها بالمثل فيها، قيل: رَغَبَاناً¹⁹.

والمصادر الثلاثة الأواخر كلّها محرّكات لتثقل دلالتها، ويكثّف معناها؛ لأنّ السكون خفيف. وهو يدلّ من الوجهة النظرية على معنى أقلّ وأدنى ممّا يدلّ عليه المصدر المثقل، والمضموم أكثر من المفتوح، فالدلالة في مذهب عبد الملك بالقياس إلى هذه المصادر تتعالى من السكون، فيلى الفتح، فيلى الضمّ، ثمّ إلى المدّ البسيط "رَغَبْتُ"، ثم إلى المدّ الطويل "رَغَبَوْتُ"²⁰. وكل من بناء رَغَبْتُ وبناء رَغَبَوْتُ من نواذر أبنية المصادر مما يدلّ على الشُّحْن الهائلة من قصدية الدلالة العامرة فيهما، لتعبيرهما تعبيرا حميما عمّا يكمن في موالج النفس من هذه الرغبة الجامحة²¹.

¹⁹ عبد الملك مرتاض، نظرية اللغة العربية تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، ص86.

²⁰ المصدر نفسه، ص86.

²¹ المصدر نفسه، ص86.

²² ابن جني، الخصائص، 101/3.

²³ المصدر السابق، 101/3. و ينظر صالح سليم الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د ت ط، ص48.

صوتية أخرى نصلح على تسميتها بالدلالة الصوتية الجزئية، "وهي دلالة تستمد من طبيعة بعض الأصوات"²⁴. ويعد النبر والتنغيم والوقف، والحركة من عناصرها. ومثالها "الخضم والقضم"، فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك، والاختلاف الحاصل في الدلالة راجع إلى رخاوة الخاء، فهي صوت احتكاكي يتناسب مع الشيء الرطب الذي يسهل أكله، وراجع في اللفظ الثاني إلى صلابة القاف، وهي صوت انفجاري يتناسب مع أكل اليابس، الذي يصعب قطعه، وفي هذا الشأن يقول ابن جني: "قضم في اليابس، وخضم في الرطب، ذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف"²⁵. ومن هنا نفهم لما عدل الشاعر عن لفظ الخضم إلى القضم في قوله:

والموتُ خيرٌ من حياةٍ مرةٍ

تُقضى لِياليها كقضمِ الجملد

وموقف عبد الملك مرتاض من مسألة الدلالة الصوتية لم يعرف اضطراباً وتناقضاً في التصور بل موقفه كان واضحاً بإيمانه الشديد بأنّ هناك جسر علاقة ومناسبة طبيعية لا تنكر بين الصوت والمعنى يقول في هذا الشأن: "وانطلاقاً من نظرنا في هذه المسألة الدلالية في اللغة العربية ومصابقة الدلالة لعدد حروف الألفاظ أنهم حين قالوا: "خشن الشيء" إنّما قصدوا إلى مجرد خشونته في أدنى مستويات دلالة الخشونة؛ أي: دون التماس لمبالغة في معناه، ولا تكثير لدلالته. فلمّا أرادوا إلى معنى فيه زيادة الدلالة على ما هو أكثر في الخشونة أضافوا إليه ما يدلّ على ذلك بمضاعفة حرف الشين الذي هو الأخشن في اللفظ، بذكره مرتين اثنتين ليتلاءم مع تكثير معناه فيه"²⁶. وهذا الذي تبناه عبد الملك هو معتقد عدد من علماء العربية المبرزين في التراث نذكر منهم:

- الخليل بن أحمد الفراهيدي

(ت175هـ): له آراء تدعم فكرة

المناسبة، جاء في الخصائص: "قال الخليل

²⁶ عبد الملك مرتاض، نظرية اللغة العربية تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، ص93.

²⁴ إبراهيم أنيس، دلالات الألفاظ، ص35.

²⁵ ابن جني، الخصائص، 157/2.

كَأَنَّهُمْ تَوَهَّمُوا فِي صَوْتِ الْجَنْدَبِ اسْتِطَالَةً وَمَدًا ، فَقَالُوا: صر، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر²⁷ ، وفي تهذيب اللغة فيما يعزى إلى الخليل: "صر الجندب صريراً ، وصر الباب يصر ، وكل صوت شبه ذلك فهو صرير ؛ إذا امتد فكان فيه تخفيف وترجيع في إعادة ضوعف كقولك صرصرًا لأخطب صرصرة"²⁸ ، ونلاحظ كيف أنّ الصوت أثر في المعنى.

- سيبويه (180هـ): حاول هو أيضا تبين أنّ هناك جسر علاقة بين اللفظ ومعناه فذكر في الكتاب: « ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النَّزْوَانُ، والنَّقْرَانُ؛ وإنما هذه الأشياء في زعزة البدن واهتزازة في ارتفاع. ومثله العَسَلَانُ والرَّتْكَانُ »²⁹. ثم يبسط المسألة أكثر: « ومثل هذا الغليان، لأنه زعزة وتحرك. ومثله الغُثَيَانُ، لأنه تجيشٌ

نفسه وتثؤُر. ومثله الخطران واللمعان، لأن هذا اضطراب وتحرك. ومثل هذا اللهبان والصَّخْدَانُ والوهجان، لأنه تحرك الحرّ وثؤُورُهُ، فإنما هو بمنزلة الغليان»³⁰؛ أي بمعنى أن المصادر التي تأتي على وزن (فعلان) ينتج عن إحياء أصواتها معناها أو تصور الحركات المصاحبة للحدث، فيستشعر في الفعلان الاهتزاز والاضطراب والحركة، وينسحب هذا الحكم على كل مصدر جاء على شاكلة هذا الوزن فمهما كانت حروفه فلا بد أن نلاحظ فيه هذا المعنى³¹.

ابن دريد (321هـ): له التفاتة بديعة في جنب الصلة بين الصوت والمعنى ، فقد ذكر في كتابه "الاشتقاق" في سياق تحليل أسماء القبائل والأعلام في الجزيرة العربية أنّ اسم: "هذيل من الهذل وهو الاضطراب ، وقضاعة من انقضع الرجل عن أهله إذا بعد عنهم ، أو من قوله تقضع بطنه إذا

²⁷ ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2، ، 152/2.

²⁸ الأزهري، تهذيب اللغة، تح: أحمد عبد العليم البردوني، الدار المصرية، باب الصاد والراء، 106/12. وينظر: عبد الكريم مجاهد، العلاقة بين الصوت والمدلول، ص29.

²⁹ سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 14/4 ، 1975

³⁰ المصدر نفسه، 14/4.

³¹ ينظر عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب ، دار الضياء، المغرب، 1985 ، ص207.

أوجعه"³² ، وأما عن الأعلام فيقول: "واعلم أن للعرب مذاهب في تسمية أبنائها، فمنها ما سمّوه تفاقلاً على أعدائهم نحو: غالب وغلاب، وظالم،...ومنها ما سمي بما غلظ وخشن من الشجر تفاقلاً أيضاً نحو: طلحة، وسمرة،...ومنها ما سمي بما غلظ من الأرض وخشن لمسه وموطئه، مثل: حجر، وجحير..."³³.

- ابن جني(392هـ): لم ينكر محاكاة الكلمات لأصوات الطبيعة، بل أكد ذلك وضرب أمثلة كثيرة في مدوّنته "الخصائص"، من ذلك: "دويّ الريح، وحنين الرعد، وخريير الماء، وشحيع الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الطيبي، ونحو ذلك"³⁴، وأردف في موضع آخر مؤكداً « فإن كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها»³⁵. وقد ناقش في كتابه "الخصائص" في أربعة أبواب موضوعات تُمّتُ بصلة مباشرة إلى عقد

الصلة بين اللفظ ومعناه؛ ففي باب "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" مثلاً- يظهر له أنه مجرد تقارب المخارج الصوتية غالباً تتقارب دلالاتها، ومثال ذلك: «القرمة وهي الفقرة تُحرّز على أنف البعير. وقريب منه قلمت أظافري؛ لأن هذا انتقاص للظفر، وذلك انتقاص للجلد. فالراء أخت اللام والعملان متقاربان»³⁶. ومن ذلك أيضاً في

استشهاده بأمثلة أخرى «العلز: خفة وطيش وقَلَق يَعْرِضُ للإنسان، وقالوا (العلوص) لوجع في الجوف يلتوي له الإنسان ويقلق منه. فذاك من (ع ل ز) وهذا من (ع ل ص) والزاي أخت الصاد»³⁷.

- ابن فارس(395هـ): ناقش الصلة في كتابه الصحابي في أكثر من موضع، منه: «القلم لا يكون قلماً إلا وقد بُري وأُصلح وإلا فهو أنبوبة. وسمعتُ أبي يقول: قيل لأعرابي: ما القلم؟ فقال: لا أدري. فقيل له: تَوَهَّمُهُ، فقال: هو عود قُلِمَ مِنْ جَانِبِيهِ كتقليم الأظفور فسُمِّيَ قَلَمًا»³⁸؛ فهو

³² ابن دريد الأزدي، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1958، ص05.

³³ المصدر نفسه، ص05.

³⁴ ابن جني، الخصائص، 47/1.

³⁵ المصدر نفسه، 65/1.

³⁶ المصدر نفسه، 147/2.

³⁷ المصدر نفسه، 148/2.

³⁸ أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة العربية ومساثلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، منشورات

بذلك قد أحس بتلك الصلة بين اللفظ ومدلوله مستدلاً بما أحسه ذاك الأعرابي.

- ابن قيم الجوزية (751هـ): لعل ابن قيم من أهم الذين انتصروا لوجود المناسبة وأكثرهم إعصاماً، ويتضح ذلك من قوله: «إن اللفظ قالب المعنى ولباسه يحتذي حذوه والمناسبة الحقيقية معتبرة بين اللفظ والمعنى، طولاً وقصراً، وخفة وثقلاً، وحركة وسكوناً، وشدة وليناً، فإن كان المعنى مفرداً أفردوا لفظه، وإن كان مركباً ركّبوا اللفظ، وإن كان طويلاً طوّروه؛ كالقطنط والعشلق للطويل، فانظر إلى طول هذا اللفظ لطول معناه. وانظر إلى لفظ يحتر وما فيه من الضم والاجتماع لما كان مسماء القصير المجتمع الخلق»³⁹. ثم يسترفد مثرياً المسألة ومبرهنها بقوله: "إنّ الألفاظ تتقاضى معانيها وتطلبها بالمشاكلة والمناسبة التي بين اللفظ

والمعنى، ولهذا قلّ من تجده يعتاد لفظاً إلاّ ومعناه غالب عليه»⁴⁰. ويعضد ذلك بقوله: «لفظة الحديد والحجر والشدة والقوة ونحوه قد تجد في ألفاظها ما يناسب مسمياتها، وكذلك لفظاً الحركة والسكون مناسبتهما لمسمياتهما معلوم بالحس. وكذلك لفظ الدوران والنزوان والغليان وبابه في لفظها من تتابع الحركة ما يدل على تتابع حركة مسمائها؛ وكذلك الدجال والجراح والضراب والأفاك في تكرار الحرف المضاعف منها ما يدل على تكرار المعنى. وكذلك الغضبان والظمآن والحيران وبابه صيغ على هذا البناء الذي يتسع النطق به ويمتلئ الفم بلفظه لامتلاء حامله من هذه المعاني، فكان الغضبان هو الممتلئ غضباً الذي قد اتسع غضبه حتى ملأ قلبه وجوارحه»⁴¹. وركحا على هذا التأسيس يتبين أنّ من أعاجيب الدلالة في اللغة العربية تصاقبها مع منطوق حروف ألفاظها.

محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ - 1997م. ص 61،
³⁹ ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، 103/1، خرّج أحاديثه أحمد بن شعيبان بن أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1426هـ - 2005م، وينظر ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، 546/2، تحقيق محمد الإسكندراني وأحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ - 2005م

⁴⁰ - ابن قيم، إعلام الموقعين، 705/3.
⁴¹ المصدر نفسه، 103/1، وينظر أيضاً ابن قيم، مفتاح دار السعادة، 546/2.

• الدلالة السياقية النحوية:

حمل لنا التراث العربي قصصا وآثارا بين الفقهاء والنحاة تنبه إلى أهمية السياق النحوي في بناء الدلالة، من ذلك ما وقع بين الكسائي القارئ النحوي وأبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة بمحضر الخليفة الرشيد إذ تحدّى الكسائي أبا يوسف قائلاً: هل لك في مسألة؟ ويستفهم أبو يوسف عن طبيعة المسألة: نحو أم فقه؟ فيقول الكسائي: فقه، فيضحك الخليفة الرشيد حتى يفحص برجله، استغربا لهذه الدعوى ولكن الكسائي يبادر موجها خطابه إلى أبي يوسف: ما تقول في رجل قال لزوجه: أنت طالق أن دخلت الدار- بفتح الهمزة؟ فقال أبو يوسف: تطلق إذا دخلت الدار، فقال الكسائي: أخطأت، قد طلقت امرأته؛ ذلك لأنّ الزوج في هذا لم يعلّق الطلاق، وإنّما علّله بأن المفتوحة المصدرية، كأنه قال: أنت طالق من أجل دخولك الدار، فعجب أبو يوسف وتبيّن له أنّ هذه المسألة جارية على أصل لغوي لا بد من البناء عليه، فصار يتردد على

الكسائي⁴². ويدخل في هذا السياق سؤال الرشيد لأبي يوسف عما يترتب على الرفع والنصب في لفظي "عزيمة" و"ثلاث" في قول الشاعر:

فإن ترفقي يا هند فالرفق أيمن

وإن تخرفي يا هند فالخرقُ أشأمُ

فأنت طلاقٌ والطلاق عزيمةٌ

ثلاثٌ ومن يخرقُ أعقُ وأظلمُ

فما على هذا القائل إذا نصب: "ثلاث"

أو رفعها مع ملاحظة أن رفع: "عزيمة" أو

نصبها سيدور في اتجاه معاكس حتما-

فقال أبو يوسف وهو يقلب رسالة الخليفة:

هذه مسألة فقهية نحوية فلا آمن الخطأ

فيها إذا قلت برأيي. فذهب إلى الكسائي

وهو في فراشه فأجابه: بأنّه في حالة نصب

"ثلاث" تطلق ثلاثا، وفي حالة الرفع تطلق

واحدة. وتأوّل ذلك: أنّها في حالة النصب

تكون تمييزا للطلاق المبهم في جملة "فأنت

طلاق"، وفي حالة الرفع مع نصب "عزيمة"

تكون خبرا للطلاق وهو المبتدأ في الجملة

الثانية⁴³.

⁴² ينظر: عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيّه، أمالي

الدلالات ومجال الاختلافات، دار ابن حزم، ط1،

1999، بيروت ص18.

⁴³ ينظر: المرجع نفسه، ص18- 19.

بين الإضافة والتمييز: إذا قيل: خالدٌ

أفضلُ رجلٍ بالإضافة، فالمعنى أنَّ خالدًا
مُتَّصِفٌ بالأفضلية فهو مفضلٌ على غيره من
الرجال، وأمَّا إذا قيل: خالدٌ أفضلُ سائقًا،
فينتقل الفضل منه في هذه الحال إلى
سائقه، ويكون منصوبًا على التمييز.
فكأنَّ المنصوب بمنزلة الفاعل، ويمثله
قولهم: فاطمةٌ أكرمُ أمِّ، وفاطمةٌ أكرمُ
أمِّ، ففي الحالة الأولى يلحق الكرمُ
فاطمةً، وأمَّا في الأخرى فيلحق أمُّها⁴⁶.

من وظائف "أما و"إمّا": إذا كنت أمرًا

أو ناهيا أو مخبرا فهي "أما"، وإذا كنت
مشتربا أو شاكا أو مخيرا أو مختارا في
"إمّا"⁴⁷.

• السياق التداولي:

يترجم اللسانيون مصطلح:

pragmatique بعدة ترجمات، نذكر

منها: التداولية، علم الاستعمال، وعلم

المقاصد والإفعالية، والسياقية،

والذرائعية، وحتى النفعية - عند

بعضهم - . يعدُّ علما متفرعا عن اللسانيات

ومن ملامح دلالة السياق النحوي لدى

عبد الملك مرتاض نذكر النماذج الآتية:

- الفرق بين "إن" و"إذا": إن حرف شرط،

ويقتضي حكمها تعليق أمر على أمر آخر،

ولا يُعلّق بها إلا ما يحتمل وقوعه، وتستعمل

في الفور والتراخي، مثبتا كان الشرط أو

منفيا. ومن نكت هذه المسألة النحوية أنَّ

ثعلبا سُئل عن: لو قال لامرأته إن دخلتِ

الدر، إن كلمتِ أخاك، فأنت طالق: متى

تطلق؟ فقال: إذا فعلتُهما جميعا؛ لأنَّه أتى

بشرطين. فقيل له: لو قال: أنت طالق إن

احمرَّ البُسْرُ. فقال: هذه المسألة مُحال؛ لأنَّ

البُسْرَ لا بُدَّ أن يحمرَّ، فالشرط فاسد. فقيل

له: لو قال: إذا احمرَّ البُسْرُ (مرتبط هنا

بشرط الزمان). فقال: تُطلّق إذا احمرَّ: لأنَّ

شرط صحيح. فميّز بين "إن"، وبين "إذا".

فجعل "إن" للممكن، وإذا للمحقّق، فيقال:

إذا جاء رأس الشهر، وإن جاء أبوك⁴⁴.

وقد تتجر إن عن الشرط فتكون بمعنى

"لو" نحو: صلِّ وإن عجزت عن القيام،

والمعنى: صلِّ سواءً قدرت على القيام أو

عجزت عنه⁴⁵.

⁴⁴ عبد الملك مرتاض، نظرية اللغة العربية

تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، ص493.

⁴⁵ المصدر نفسه، ص494.

⁴⁶ المصدر نفسه، ص464.

⁴⁷ المصدر نفسه، ص476.

الحديث بل هو "قاعدة اللسانيات"⁴⁸ كما نصّ على ذلك كارناب R.Carnap يسعى إلى استكشاف العناصر الإجرائية التي يحتكم إليها في تحديد المعنى، وذلك من خلال التركيز على ثنائية المتلفّظ والمتلفّظ به في سياق الاستعمال.

ويركّز في تعامله على الفعل الكلامي وعناصر لسانية أخرى تتجاوز محدّدات الدلالة إلى دراسة مدى إمكانية الكشف عن قصدية المتكلّم من خلال إحالة القول على السياق لمعرفة مدى التطابق أو عدم التطابق بين دلالة القول لسانيا وظروف السياق، للكشف عن مجموعة القوانين العامة التي تتحكّم بتحديد دلالة المنطوق سياقيا⁴⁹. وله في المؤلّفات اللسانية الحديثة عدّة تعريفات نذكر منها:

-شارل موريس Charles Morris
:"التداولية جزء من السيميائية التي تعالج

العلاقة بين العلامات ومستخدمي هذه العلامات"⁵⁰.

-آن ماري ديلر (Anne Marie Diller) وفرانسوا ريكاناتي (François Récanati) : "التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب"⁵¹.

-فرانسواز أرمينكو (Françoise Arminguad) : "التداولية علم الاستعمال اللساني ضمن السياق، وبتوسّع أكثر هي استعمال العلامات ضمن السياق"⁵².

-جيف فيرتشيرن (Jef Verschueren): ذكر تعريفا للتداولية يتوافق مع التعريفات الكثيرة التي دأبت المراجع اللسانية على الإشارة إليها: "إننا نعني بالتداولية علم علاقة العلامة بمؤلّفيها، فإنّه من التمييز الدقيق للتداولية أن نقول إنّها تتعامل مع الجوانب الحيوية لعلم العلامات، وهذا يعني كل الظواهر

⁵⁰ -Charles Morris, Fondements des théories des signes, in langage. n °35.Septembre 1974. P19.

⁵¹ فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (د ت ط)، ص80.

⁵² المصدر السابق، ص11.

⁴⁸- Françoise Armenguad, La pragmatique, puf, 4 em Édition 1999,p3.

⁴⁹ معن الطائي، التداولية منهجا نقديا، مجلة الأديب، ع58، سنة 2005، بغداد، ص22.

النفسية والاجتماعية التي تظهر في توظيف
العلامات" 53.

ومن الواضح أن تعريفات التداولية
ترتبط بفكرة الاستعمال التي ترددت في
التعريفات جميعها بشكل أو بآخر، وهذا
ما يؤكد دوره في نجاح التواصل والعمل
التداولي، وبالرغم من أنه تيمة مشار إليها
في تراثا المعرفي العربي إلا أنه لم يستقل أو
يعرف بوصفه علما قائما بذاته، في حين
نجد المصطلح الآخر المتداول في الدرس
اللساني وأقصد بذلك الوضع استطاع أن
يفرض علميته في تراثا القديم ويشغل
بالتالي حيزًا في المدونات المكتوبة، ومع
ذلك لا نعدم في العصر الحديث من بعض
المحاولات الجادة لصوغ علم للتخاطب
الإسلامي يأتي على أصوله ونظرياته
ومناهجه كما فعل محمد محمد يونس
علي في كتابه علم التخاطب الإسلامي

Médiéval islamic pragmatics.

-موقف النقاد من علم التداول:

تبين لعبد الملك بعد مساءلة
معرفية وبحث عميق في آخر كتب

السيمائيات والنقد الجديد صدورا في
فرنسا (نهاية القرن الماضي وبداية القرن
الجديد) أنه يوجد اختلاف شديد في تمثّل
مفهوم علم التداول ووظيفته، بل ربما في
شرعيته، أو عدم شرعيته، ولو أنّ
الاحتمال الأخير لا يرد إلّا في بعض
التمثّلات القليلة، ويمكن تلخيص كلام
عبد الملك في موقف النقاد من علم التداول
في الآتي: 54

• من المنظرين من يجعل منه ركنا
مكينا في تحليل النص، أو الخطاب. ويمثّل
هذا الاتجاه كاترين كاربراط -أرتشيوني
(Catherine Kerbrat-Orecchioni).
• ومنهم من يجعل منه مجرد
مجموعة من نفايات الكلام يقع بها
الترقيع. كفرنسيس جاك (Francis
Jaques) الذي يتشأم في التعريف به
وتحديد وظيفته التحليلية في الخطاب؛ إذ
يعده مجرد "ملاءمة بين الألقاء، واللقى
الشيء المطروح لهوانه. والأمر نفسه ل بار
هيل (Bar-Hillel) إذ عده نفاية من
النفايات.

54 ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، دار
القدس العربي، ط2010، وهران-الجزائر ص:
157- 164- 165- 166- 167- 168.

53 عيد بليغ، التداولية إشكالية المفاهيم بين
السياقين الغربي والعربي، مجلة سياقات، العدد1،
ط1 سنة2007، القاهرة، ص36.

• ومنهم من يبسّطه إلى أن يبلغ به مستوى مفهوم "السياق" المعروف في البلاغة منذ عهد أرسطو مروراً بالبلاغة العربية في عهودها الزاهرة. ولذلك يرى بعض المنظرين الغربيين ك باري (H.Parret) أن من الأنسب تصنيف الدراسات التداولية بحسب النوع الوارد فيه السياق.

• ومنهم من يعقّد من أمره، ويعمّق من شأنه، إلى أن يُخضع استعماله في تحليل المعنى فيلحقه بالأدوات السيميائية الجديدة. ك ديكر و جان- ماري شيفر، وحجتهما أنّ التداولية- كما اصطلح عليها بعض المحدثين- بما هي دراسة لكل ما ينصرف إلى معنى الملفظ تحرص على طبيعة "الوضع" الذي يُستعمل فيه الملفظ، وليس على مجرد البنية اللسانية للجملة المستعملة، وخلصا إلى أنه لا مانع من التفكير في أنّ التداولية هي أجنبية عن اللسانيات، وذلك بحكم أنّها تُعنى بما يُضاف إلى ما هو خارج عن جُمْل اللسان، وذلك على الرغم من أنّ الفزع إلى طبيعة الوضع القائم للتأويل يسيّره الجهاز اللسانياتي نفسه.

• ومنهم من يبلغ به مستوى المنطق باعتبار أنّ هذا المفهوم، هو في أصله، من متصوّرات العالم المنطقيّ شارل بيرس.

- سياق الملفظ وأفعال الكلمة:

الملافظ أو الملفظ باصطلاح حازم القرطاجني *énoncé utterance* - الذي هو الوحدة الصغرى للنص أو الخطاب- قاسم مشترك بين جميع اللغات، دفع أوستن إلى بحثه واستقرائه، فخلص إلى تقسيم ثلاثي للأفعال، ذلك أنّ أيّ واحد من الناس حين ينطق بجملة فإنّه لابدّ أن ينجز ثلاثة أفعال متزامنة: ⁵⁵

• الفعل الصيغي (Acte locutoire): الذي هو عبارة عن مَفصَلة الأصوات اللغوية وتركيبها، حيث يقع استحضار المفاهيم الماثلة نظميّاً (Syntaxiquement) بواسطة الألفاظ.

• الفعل المسكوت عنه (Acte illocutoire): الذي هو عبارة عن إنجاز مَلْفُظٍ من الجملة، بحيث يشكّل فيها، هي نفسها، فعلاً على نحو ما، إتي أنجز

⁵⁵ ينظر: المصدر نفسه، ص162- 170- 171.

فعل "وَعَدَ" وأنا أقول: "أَعِدُّ..."، وفعل السؤال- أو فعل أسأل .

● فعل الصيغة المُشَبَّعة (Acte perlocutoire): وهو الذي يُصطنع في نسج الكلام لغايات بعيدة، بحيث إنَّ المخاطبَ يمكن أن لا يفهمَ كلَّ ما يُلقى إليه على الرغم من جذقه اللسان بامتياز. وكذلك إذا ألقينا سؤالاً على أحد ما، فإنَّ ذلك قد يعني أننا نقدِّم له خدمة ما، أو أننا نُخرجه، أو أننا نُشعره بأنَّ غايتنا من سؤاله لا تعدو كونها تقديراً لرأيه...

ومفتاح تداولية اللغة في كل ذلك إنّما هو مبدأ المسكوت عنه، ومثاله في السياق العربي "في الغنم السائمة زكاة"، منطوقها إخراج الزكاة من الغنم التي لا يتكفل صاحبها أمر علفها والمسكوت عنه "ليس في الغنم المعلقة زكاة".

انطلاقاً مما سلف يمكن اعتبار السياق التداولي نسقاً عقلياً يروم كشف قصدية المتكلّم من خلال أعمال الذهن في العبارة للوصول إلى الدلالات المخبوءة مع العلم أنّ هذه الدلالات غير مدرّكة على مستوى النطق -أو السياق اللغوي- ولكن مشعر بها على مستوى اللفظ، ويمكن تعريفه أيضاً بـ ما دلَّ عليه اللفظ

لا في محل النطق، يقول فان ديك السياق التداولي يعدّ "نصاً آخر أو نصاً مصاحباً للنص الظاهر"⁵⁶، ويقترب هذا من مصطلح "المفهوم" عند الأصوليين حيث يراد به "ما فهم من اللفظ في غير محلّ النطق"⁵⁷. ومن أمثلته:

- 1- "في الغنم السائمة زكاة"⁵⁸.
- السياق اللغوي: الغنم السائمة فيها زكاة.
- السياق التداولي أو المفهوم: "ليس في الغنم المعلقة زكاة". وهذا المعنى لا يدل عليه منطوق الجملة.
- 2- "يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا"⁵⁹.
- السياق اللغوي: التبيّن من خبر الفاسق.
- السياق التداولي: إذا جاءكم عدل ثبت يسقط التبيّن.

⁵⁶ فان ديك، النص و السياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي، ص256.

⁵⁷ السيوطي جلال الدين، الإتيان في علوم القرآن، مطبعة البابي الحلبي، ط3، سنة 1402 هـ بيروت، 31/2 - 32.

⁵⁸ قطعة من كتاب أبي بكر الصديق في الصدقة، وهي فيه بلفظ: "وفي صدقة الغنم في سائمتها...". أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب زكاة الغنم، رقم: 1454.

⁵⁹ سورة الحجرات، الآية: 06.

3- "وإن كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهن" 60 .

- **السياق اللغوي:** وجوب النفقة أثناء العدة على المطلقة طلاقاً بائناً.

- **السياق التداولي:** عدم وجوب النفقة على المعتدة غير الحامل.

خلص البحث إلى الآتي:

- عهدٌ كثيرٌ من الدارسين العرب بعبد الملك مرتاض ناقدًا ومحللاً أدبياً في حين حسه اللغوي كان مغفلاً عنه، وقد بيّن البحث أنّه يمتلك حساً نقدياً لغوياً رفيعاً يضاهي بل يزيد عن مسحة النقد الأبّي لديه. ومعالّم النقد اللغوي نلمسها في مختلف أبواب اللغة من صرف ونحو وصوت ودلالة وبلاغة، وما استدراكه على فطاحل اللغة من أمثال الخليل إلا أكبر دليل على ذلك.

- إدراك عبد الملك أنّ نمو الفكرة مرتبطٌ بما يضيفه السياق إليها، ليغدو نشاطاً من نشاطات الفكرة أو إفرازا لها، وفي الوقت نفسه مشاكلها لها.

- السياق كما نبّه فندريس وأقره على ذلك عبد الملك يسهم في تخليص الكلمة

من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها.

- أدرك عبد الملك أنّ السياق قيمة مرجعية وأداة مهمة لتعقّل الخطابات والنصوص، وأي إهمال لهذه القيمة أثناء استنتاج النصوص وبيان مقاصد المتكلمين ينجم عن ذلك أزمة تواصل وفوضى دلالية وإجهاض للمعاني وانفتاح وامتداد لسلطة التأويل الفاسد.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم السامرائي، معجم ودراسة في العربية المعاصرة، مكتبة لبنان، ط2000، بيروت.
- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب المصرية، (د.ت.ط).
- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2.
- ابن دريد الأزدي، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1958.
- ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، خرّج أحاديثه أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1426هـ - 2005م.

60 سورة الطلاق، الآية: 06.

- ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، تحقيق محمد الإسكندراني وأحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ- 2005م
- أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة العربية ومساائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ- 1997م.
- أحمد مختار عمر، العربية الصحيحة، عالم الكتب، ط2، سنة 1998.
- الأزهرى، تهذيب اللغة، تح: أحمد عبد العليم البردوني، الدار المصرية.
- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، ط1988، القاهرة.
- سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة البابي الحلبي، ط3، سنة 1402 هـ بيروت.
- صالح سليم الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د ت ط.
- عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، المغرب، 1985.
- عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه، أمالي الدلالات ومجال الاختلافات، دار ابن حزم، ط1، 1999، بيروت.
- عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، دار القدس العربي، ط2010، وهران-الجزائر.
- عبد الملك مرتاض، نظرية اللغة العربية تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، دار البصائر، ط2012، الجزائر، ص19- 20- 21.
- عيد بلبع، التداولية إشكالية المفاهيم بين السياقين الغربي والعربي، مجلة سياقات، العدد1، ط1 سنة 2007، القاهرة.
- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (د ت ط).
- فريض عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، 2005، القاهرة.
- الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعرف، ط2، القاهرة.
- محمود محمد عيسى، السياق الأدبي - دراسة نقدية تطبيقية -، مكتبة نانسى دمياط ط2004 مصر.

- معن الطائي، التداولية منهجا نقديا،
مجلة الأديب، ع58، سنة 2005، بغداد،
ص22.

- Charles Morris, Fondements des
théories des signes, in langage. n
°35. Septembre 1974.

- Françoise Armengaud, La
pragmatique, puf ,4 em Édition
1999.

